الكـــرم

الكرم صفةٌ نبيلة ، وسِمَةٌ جليلة ، وعادة جميلة ، خُلُقٌ محمود ، وحوض مورود . الكرم دليل على كرم النفس ، وطيب الأصل ، وجمالِ الطبع ، وصفاء القلب ، وحب الخير ، وعشق المعروف ، يجتذب القلوب ويصطنع الحب ، ويقتلع الضغائن ، ويسُلّ السَّخائِم ، الكرم حيثما وُجد فاح عبيره ، وعبق عطره ، وضاع أريجه لا يتصف به إلا العظماء ولا يتحلى به إلا النبلاء ، أهله ممتدحون ، وأربابه معظمون ، هو العمر الثاني للإنسان ، وهو الذكر الباقي للشجعان .

لَعَمْرُكَ ما يغني الثراءُ عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
ألم تر أن المال غادٍ ورائحٌ
ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ

الكريم أينما حلّ فهو كالغيث الهنيء ، إذا نزل بأرض اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . والكريم كالظل الوارف يأوي إليه المحتاج ، ويستظل به المنهك ، ويلوذ به المنقطع ، الكريم كالبحر الهادر أحل للناس صيده وطعامه ؛ يستخرجون منه حليةً يلبسونها ، وترى الفلك مواخر في ماء جوده وأمواج عطائه . والكرم حرب على البخل، وثورة على الشح ، وبركان في وجه التقتير ، وطمس لمعالم الأنانية ، ورفع لمقام الإنسانية .

تحلّى به الأنبياء ، وتجمل به العظماء ، وانتسب إليه الأسخياء . وهو عربيٌّ المولد والنشأة ، عروقه عربية ، ودماؤه عربية ، وسحنته عربية . ضرب العربُ فيه المثالَ الأروع ، وبلغوا فيه الشأو الأرفع ، وجاؤوا منه بالحديث الأمتع ؛ كان الكرم جاهلياً فأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، وخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام . ومن أكرم العرب في الجاهلية حاتم الطائي ، وهرم بن سنان ، وكعب بن مامة الإيادي ، وعبد الله بن جدعان .

أما حاتم فقد أصبح مضرب المثل على مرّ العصور ، وتقلب الدهور ، وهو الذي كان إذا أقبل الشتاء واشتد البرد يقول لغلامه : أوقد النار في مكان مرتفع حتى يراها من ضل الطريق وإذا أتيت بضيف فأنت حر! .

أوقد فإن الليل ليلٌ قرّ
والريح يا مُوقِد ريحٌ صِرُّ
علَّ يرى نارَك من يمرُّ
إن جلبْت ضيفاً فأنت حرُّ

وأما هرم بن سنان فأبوه سيد غطفان ، وهو الذي قال فيه الشاعر :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يَقْعد فوق الشمس من كرمٍ
قوم بأوَّلهم أو مجدهم قعدوا

وقال الشاعر في هرم :

وأبيض فياض يداه غمامةٌ
على معتفيه ما تُغبُّ نوائله
تراه إذا ما جئته متهللاً
كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وأما كعب بن مَامَة فقد آثر رفيقه بالماء ، ومات هو عطشاً ونجا رفيقه وله يقول الشاعر :

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وأما عبد الله بن جدعان فقد كان آية في الكرم ، وغايةً في الجود وكان يُضَيِّف حجاج البيت وزوّاره طيلة وجودهم بمكة . كان له جفنة لا يحملها إلا ثمانية من أشداء الرجال يضعها في الصباح مكللة بلباب البر ونسيل العسل ، ثم يأمر غلمانه ينادون في الناس: حيهلاً على الفطور المبارك ، ثم يضعها في الظهيرة، كذلك وكان يضع الموائد من الأبطح إلى باب المسجد الحرام .

ولكن هل يغني الكرم شيئاً مع الكفر بالله؟ وهل يجدي الجود فتيلاً إذا كان لغير الله؟ قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ابن جدعان كان يطعم الفقير ، ويعين على نوائب الحق هل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ قال : «لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» [رواه مسلم].

obeikandi.com

وغيرهم كثير ، وقصصهم مشهورة ، وأخبارهم مذكورة .

والكريم اسم من أسماء الله تعالى ، فهو الكريم ومنه الكرم ، بل هو أكرم الأكرمين ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ فهو أكرم من كل كريم ، وأعظم من كل عظيم ، وأجود من كل جواد ، وقد تسمى جل وعلا بالكريم ولم يتسمّ بالسّخي لأن الكريم : كثير العطاء ووافر البذل ، وعظيم الإحسان من غير طلب أو سؤال ، والسخيُّ : هو المعطي عند السؤال ، وكرمه تعالى ظاهر وباطن ، وجَليٌّ وخفي ، ومادي ومعنوي ، وملموس ومحسوس .

إليه وإلا لا تشدّ الركائب
ومنه وإلا فالمؤمِّل خائب
وفيه وإلا فالغرام مضيّع
وعنه وإلا فالمحدث كاذب

هو ذو الجلال والإكرام ، والفضل والإنعام ، كرمه لأهل السماوات وأهل الأرض وجميع من فيهن . يغدق الرزق ، ويبذل الفضل ، ويجزل العطاء ، ويغفر الذنب ، ويقبل التوب ، ويذهب الكرب ، ويستر العيب ويحب العفو ، ويتجاوز عن المذنب ، ويغفر الخطايا ، ويدفع الرزايا ، ويسمع الشكايا ؛ كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، كرمه مبذول ، وحبله ممدود ، وبابه مفتوح ؛ من أقبل إليه تلقّاه من بعيد ، ومن أعرض عنه ناداه من قريب ، ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد ، و لم يُقَنط أحداً من رحمته . أهل شكره هم أهل زيادته ، وأهل طاعته أهل كرامته ،

الحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، والسيئة بواحدة ، يشكر على اليسير ، ويغفر الكثير ، رحمتُه سبقت غَضَبَه ، وحلمُه سبق مؤاخذتَه ، وعفوُه سبق عقوبتَه ، ﴿ **يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ . لو أن أول الناس وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلاً منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكه شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر !!

قال تعالى : ﴿ **وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم : ٣٤].

يجود بالفضل على العاصي ، ويتفضل على المسيء ، ويعطي العبد ما سأله وما لم يسأله .

أنت الكريم فلو لا رحمة سبقت
لم يُعط شربة ماءٍ جاحدٌ عاصِ
تعطي بغير حساب لا تَضِنُّ ولا
يغيب لطفك عن دانٍ وعن قاصِ
وجنة الخلد تعطيها لمن حملوا
عبء الحقيقة في صبرٍ وإخلاص

واستمع إلى مثل واحد من أمثلة الجود ، وأنموذج من نماذج الكرم يقول ﷺ سأل موسى عليه السلام ربه : ما أدنى أهلِ الجنة منزلة ؟ قال : « رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : أُدخل الجنة ، فيقول :

أي رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت ربي فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فيقول في الخامسة رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب ، قال : -أي موسى- فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردتُ غَرسْتُ كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» [رواه مسلم] ، فسبحانه ما أكرمه وأعظمه!! وهل يجود الأجواد إلا من جوده ، وهل يُكرم المكرِمون إلا من فيض نداه؟! وهل يعطي العطايا إلا من أكرمه الله وأعطاه؟! .

والكريم جلَّ وعلا شرّف أعزّ الناس عنده بصفة الكرم ، وكرم أحب الخلق إليه بسمة الجود ، فجعل الكرمَ صفة لأنبيائه ، والجود حلية لأوليائه والعطاء تاجاً لأصفيائه .

فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام من أكرم من درج على الأرض ، وأجود من مشى على البسيطة ، فهو معلم الكرم وحبيبُه ، ورفيقُ الجود وربيبُه ، قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ [الذاريات : ٢٤] ، فهم مكرمون لإكرام الله لهم ، وهم مكرمون لإكرام إبراهيم لهم ، وحسن ضيافته لمقدمهم ﴿ **إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ** ﴾ [الذاريات : ٢٦] ، فهذه أقصى درجات الكريم ، وأعظم الدلائل على جود إبراهيم . والآيات على وجازتها تُجَلِّي روعة سخائه ، وعظيمَ عطائه ، فهم على قلتهم «وقيل : إنهم ثلاثة» جاء لهم

بطعام وفير ، والطعام قد اختاره فجعله عجلاً سميناً ، فلم يكن هزيلاً ، أو هَرِماً كبيراً ، ثم تفنن في طريقة تحضيره ، وأسلوب تقديمه ، فقد جاء به حنيذا ، والحنيذ من أجود أنواع الطهي وأكثرها مشقة .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

واللفتة الأجمل في ذلك ، أنه بالغ في إكرامهم من غير معرفةٍ لهم وهذا هو الكرم الحق والجود الصراح ، فليس الكرم لمن كان معروفاً فقط ، أو قريباً أو نسيباً ، بل هو لمن عُرف ولمن لم يُعرف ، للقريب والغريب ، والغني والفقير . وإبراهيم عليه السلام لم يشترط الاطلاع على البطاقة الشخصية قبل أن يكرم أضيافه ولم يتحقق من الأصل والفصل والنسب والجاه ، والرفعة والمكانة ، ولم يحد شفرته أمامهم ليستدرّ عطفهم ، ولم يخنق العجل ليسمعوا خواره فيحلفوا عليه أن لا يذبحه كما يفعل البخلاء . والأجمل من كل ذلك ، والأروع مما هنالك ما تُصوره كلمة «فراغ» فإبراهيم لم يعقد اجتماعاً طارئاً بأهل البيت ويشاورهم في الأمر ويستعين بهم في خدمة الأضياف ، فلم يتردد لحظة واحدة في الإكرام ، ولم يفاوض في الضيافة أو يفعل كما يفعل بعض الناس مع ضيوفه حين يفدون إليه ، فهو يسألهم أولاً ؛ إن كانوا مسافرين ظهراً قال لهم : ما رأيكم في العشاء عندنا الليلة؟! وإن كانوا مسافرين ليلاً قال ما رأيكم في الغداء عندنا غداً؟! ثم قد يجيب هو بنفسه قائلاً لهم : أعلم أنكم على عجلةٍ من أمركم ولا داعي لتأخيركم ، وإعاقتكم في سيركم بسلامة الله

نستودعكم الله!!.

وبعض الناس إذا أقبل إليه الضيوف ربما أعطاهم محاضرة في ضرر الأكل، وكثرة التخمة، وخطر اللحم على الجسم، وحاجة الإنسان إلى تخفيف من الأكل، ويبين لهم أجر الصيام وفضله.

زرت امرأً في بيته مرة ... له حياءٌ وله خير
يكره أن يتخم ضيفانه ... إن أذى التخمة محذور
ويشتهي أن يؤجروا عنده ... بالصوم والصائم مأجور

أما إبراهيم عليه السلام فقد راغ كما يروغ الأسد، وانطلق كالبرق الخاطف ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ وهذا منتهى الكرم وغاية الجود.

وهذا لوط عليه السلام لما جاءته رسل ربه لم يكد يعرفهم، وظنهم ضيوفاً من البشر فاحتمل همّاً عظيماً لأجلهم، واشتد به الكرب، وخيم عليه الهم، وضاقت به الأرض، وقال هذا يوم عصيب، كل ذلك خوفاً على ضيوفه، وحرصاً على مشاعر زوّاره، وعرفاناً بحق الضيافة، وواجب الكرامة، فصاح بقومه الذين غلبت عليهم الفاحشة، وسرى فيهم الشذوذ الجنسي، قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: ٦٩]، ولم يتردد في سبيل حماية ضيوفه، أن يعرض على قومه الزواج من بناته فهو أطهر لهم وأجمل، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا

نُرِيدُ﴾ [هود : ٧٩] ولكن الله تعالى صان رسله ، وحفظ لوطاً وأهله ، وأهلك قومه وجعل عالي بلدتهم سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام في إكرام الضيف ، وبذل المال ، وإطعام الطعام . فجاء البشير النذير ﷺ فكان أكرمَ إنسان ، وأجودَ مخلوق ؛ أعظمُ الناس بذلاً ، وأوفرهم عطاءً ، وأجزلهم إنفاقاً ، ولقد جُبل على الكرم ، وتعود بسط الكف ، وبذل الندى منذ نعومة أظفاره ﷺ .

حينما بدئ بالوحي فعاد خائفاً وجلاً إلى خديجة – رضي الله عنها – قالت له : «والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق»

[رواه الشيخان]

يقول أنس رضي الله عنه ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر» [رواه مسلم].

لقد كان ﷺ يؤثر على نفسه وأهله ويعطي عطاءً يعجز عنه ملوك الدنيا وكان أجود بالخير من الريح المرسلة .

ما قال لا قط إلا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم

قال جابر ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا.

كأنك في الكتاب وجدت لاءً
محرمة عليك فلا تحلّ
إذا حضر الشتاء فأنت دفءٌ
وإن حضر المصيفُ فأنت ظلٌّ

في عودته ﷺ من حنين كثر عليه الأعراب يسألونه ويستجدونه حتى اضطروه إلى سَمُرة -نوع من أنواع الشجر- فخطفت رداءه فوقف فقال: «أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً» [رواه البخاري].

وكان كرمه ﷺ وجوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم، وبذل المال، وبذل النفس في سبيل الله، وبذل الجاه، وكان مأوىً للفقير والمسكين والمنقطع، وكان يقول: «ابغوني ضعفاءكم».
[رواه أبو داود والترمذي]

ولقد غرس روح الكرم في نفوس أصحابه، وبث عبير الإنفاق في قلوب أتباعه، فضربوا في الكرم أمثلة عظمى، وبلغوا في الجود درجة قصوى، ووصلوا في العطاء مرتبة عليا. فمنهم من كان يبذل نصف ماله ومنهم من كان يبذل ماله كله، ومنهم من كان يجهز جيشاً بأكمله، ومنهم من كان يتصدق بأغلى ما عنده، وأعز ما لديه.

ولنا وقفة أخرى مع الصحابة وكرمهم، وذكر بعض من اشتهر بالجود وعرف بالكرم، وبيان بعض روائع الكرم، وقصص العطاء، مع بيان آداب الضيافة وضوابط الكرم، ومن هم الكرماء، بأمر الله تعالى،،،

من روائـــع الكـــرم

كان حديثنا فيما سبق عن الكرم ، وقد قصرنا الحديث على كرم الله عز وجل وعطائه سبحانه وتعالى ، وكرم أنبيائه عليهم السلام ، وبينا أن النبي ﷺ أجود الناس ، وأكرم البشرية . وقد غرس روح الكرم في نفوس أصحابه ، وبث عبير الإنفاق في قلوب أتباعه ، فضربوا في الكرم أمثلةً عظمى ، وبلغوا في الجود درجة قصوى ، وارتقوا بالإنفاق مرتقىً أسمى . وليس بخاف على الأنظار ، ولا غائبٍ عن الأذهان كرمُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان يأتي بماله كله ، وكان يطعم الطعام ، ويصل الأرحام . وعطاء عمر الفاروق رضي الله عنه الذي كان يجود بنفسه وماله ، وكان يحمل الطعام على ظهره لأبناء المسلمين وهو خليفة ويقدم المسلمين على نفسه وأبنائه . وجود عثمان بن عفان – رضي الله عنه – الذي كان يجيش الجيوش ، ويطعم الطعام ، ويسقي العطشى، ويكرم الجوعى ، حتى قال ﷺ : « ما ضرّ ابن عفان ما فعل بعد اليوم » [رواه أحمد] ، وعبد الرحمن بن عوف الذي قدمت له سبع مائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام ، فلما وصلت المدينة أنفقها كلها بأحمالها وأحلاسها في سبيل الله ، وقد كان أهل المدينة كلهم عيالاً عليه ، ثلث يقرضهم من ماله ، وثلث يقضي دينهم ، وثلث يصلهم ويعطيهم .

كـــرمٌ كـــريمُ الأمـــهـــات مـــهـــذبٌ
تُـدَفِّق يمـنـاه الـنـدى وشـــمـــائـلـه
جـــواد بـســـيـط الـكـف حـــتـى لَوَ انّه
دعـــاها لـقـــبـضٍ لم تجـبـــه أنـامـلـه

وأبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سمع قوله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] فتصدق بأحب أمواله إليه وهي عين عذبة متدفقة اسمها «بَيرُحاء» ، وأبو الدحداح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سمع قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، فقام إلى رسول الله ﷺ فقال له : إني أقرضت ربي حائطي – وحائطه بستان من أكبر بساتين المدينة كان فيه ستمائة نخلة – إلى غير ذلك من تلك النماذج الرفيعة ، والأمثلة البديعة . وقد انطلقوا رضوان الله عليهم في بذلهم وإنفاقهم وجودهم وكرمهم ثقةً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبأ : ٣٩] ، وقوله ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمره» . [صحيح الجامع]

وقوله ﷺ : «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً» [متفق عليه] .

لقد كانوا أجود الناس بعد النبي ﷺ وقد جادوا بكل أنواع الجود فقد جادوا بأنفسهم وهي أغلى ما يملكون ، وجادوا بأموالهم ، وجادوا بعلمهم ، وجادوا بأوقاتهم في سبيل الله تعالى ، ولقد كانوا رضوان الله عليهم يؤثرون على أنفسهم حتى ولو كان بهم خصاصة .

جاء ضيف إلى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه ، فقلن : ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﷺ : «من يُضيف هذا؟» ، فقال رجل من الأنصار : أنا، فانطلق به إلى امرأته ، فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت : «ما عندنا إلا قوتُ صبياني ، فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً – وفي رواية عللهم بشيء ، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم – وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج ، وأريه أنا نأكل ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال له : «لقد ضحك الله الليلة من فعالكما بضيفكما» ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ .

[أخرجه البخاري ومسلم]

يقول ابن عمر – رضي الله عنهما – : «أهدي لرجل رأس شاة فقال: إن أخي وعياله أحوجُ منا إلى هذا فبعث به إليه فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى الآخر حتى رجعت إلى الأول بعد سبعة» .

وسأل ﷺ أصحابه هل أحد منكم أطعم اليوم مسكيناً؟ فقال أبوبكر رضي الله عنه : دخلت المسجد فإذا أنا بسائل يسأل فوجدتُ كسرة خبزٍ في يد عبد الرحمن فأخذتُها فدفعتها إليه .

تبرعت لي بالجود حتى نَعَشْتني
وأعطيتني حتى حسبتك تلعبُ
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى
حليف الندى ما للندى عنك مذهب

الكرم من صفات الرحمن ، وسمات الديان ، وكمال الإيمان ، وحُسْن الإسلام ، دليل عراقةٍ في الأصل ، ونقاءٍ في المعدن ، يبعث على المودة ، ويجلب المحبة ، وهو دليل على حسن الظن بالله ، والثقة بموعوده ، والطمع في كرمه .

يقول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » [رواه مسلم].

ويقول ﷺ : « إن الله كريم يحب الكرم ، ويحب معالي الأخلاق ويكره سَفْسافها » [صحيح الجامع].

وسئل ﷺ ، يا رسول الله أي الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » [رواه البخاري].

وقال ﷺ :« ليلةُ الضيف حقٌ على كلِّ مسلم » [أخرجه أبو داود].

وقال للسائب بن عبد الله : « يا سائب انظر أخلاقك التي كنت تصنعها في الجاهلية فاجعلها في الإسلام . اقْرِ الضيف ، وأكرم اليتيم وأحسن إلى جارك » [رواه أحمد].

ويقول حكيم بن حزام رضي الله عنه : « ما أصبحتُ صباحاً قطُّ فرأيتُ بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعاً فقضيتها إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها ، ولا أصبحت صباحاً لم أر بفنائي طالب حاجةٍ ، إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها ، وقد كان رضي الله عنه من أكرم الناس ، يأوي إليه الفقير والمنقطع ، فينصرف وقد قضيت

حاجتُه ، وقُطعت فاقته .

وكان جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أكرم الناس بعد النبي ﷺ ، يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « ما احتذى النّعال ، ولا انتعل ولا ركب المطايا ، ولا لبس الكور – يعني العمامة – من رجلٍ بعد رسول الله ﷺ ، أفضل من جعفر بن أبي طالب في الجود والكرم » .

ويقول الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « الكرم : التبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل ، والرأفة بالسائل مع بذل النائل » .

ويقول عبد الله بن الحارث : « من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ﷺ ولا من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

وقال جعفر الصادق – رحمه الله – ألا وإن الله عز وجل يقول : « إني جوادٌ كريم لا يجاورني لئيم ، واللؤم : الكفر ، وأهل الكفر في النار ، والجود والكرم من الإيمان ، وأهل الإيمان في الجنة » .

فالكرم خلق حميد ، ونهج سعيد ، وكل صفات الجمال والكمال تتبع الكرم ، وتمشي في ركابه ، وكل صفات الذم والنقص تتبع البخل وتمشي في ركابه ؛ ومنزلةُ الكرم الجميع يحبها ، وكلٌّ يتمناها ، وهي من أعظم ما يتمادح به الناس ، ويتفاخر به المتفاخرون ويهيم بها الشعراء ويشيد بها الأدباء ، ويتغنى بها الخطباء .

ونذكر بإيجاز بعض حدود الكرم وأدبه ، وشروطه ومقتضياته ، وحقيقته وصفاته :

١ – إن أكرم الناس أتقاهم : سئل ﷺ من أكرم الناس ، فقال : « أتقاهم » [رواه البخاري] ، يقول ابن حجر – رحمه الله – : لا يقال للرجل كريم حتى يظهر ذلك منه ، ولما كان أكرم الأفعال ما يقصد به أشرق الوجوه وأشرفها ، يقصد به وجهُ الله تعالى ، وإنما يحصل ذلك من المتقي قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ .

[الحجرات : ١٣]

والمتأمل لقوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ** ﴾ [الليل : ٥] تتجلى له هذه المسألة الهامة ، وهي ربط العطاء بالتقوى ، وأن ذلك هو المحمود فعلاً .

٢ – يجب أن يكون الكرم في طاعة الله ومرضاته ، وأن يُخلص الإنسان قصده ، ويتعاهد نيته ، وإلا خسر مع إتلاف المال إتلاف الحال ، وسوء المآل ، وسخط المتعال ، وما يغني عن الإنسان مالُه إذا تردّى ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ [الإنسان : ١٠] .

٣ – هنالك فرق كبير ، وبون شاسع بين الكرم والتبذير ، وما نراه من كثير من الناس اليوم ليس من باب الكرم ، ولا من سمات الجود ، بل هو إسراف وتبذير ، وإتلاف وتدمير ، فتجد الموائد العريضة ، والأصناف المتعددة ، والأشكال المتباينة ، والمأكولات المتناقضة ، التي قصد بها الاستعراض ، وأُريد بها المباهاة . فكثير منها لا تصله الأيدي ، ثم الأدهى والأمرّ أن يكنس الفائض ، ويرمى المتبقي ، بل

في بعض المناسبات الكبيرة تحمل الأطعمات بالجرافات لتنقلها عربات الشحن فتهوي بها في مكان سحيق وهنالك أناس بأمس الحاجة إليها.

إن البطر عاقبته وخيمة، ونتائجة مفزعة، وثمراته مهلكة، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما في هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما: قوموا فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته فلما رأتهم المرأةُ قالت: مرحباً وأهلاً فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء.. إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافاً مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسرٌ وتمرٌ ورُطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدْية - السكين - فقال له رسول الله ﷺ: «إيّاك والحلوب» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورَوُوا، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة» [أخرجه مسلم]، فكيف بمن يرد على هذه الموائد العريضة، والسُّفَر المرْعبة، والنعيم العظيم، والخير العميم.

٤ - ليس الكريم من لا يكرم إلا الكبراء والوجهاء وذوي القربى فقط، ثم

يحرم الفقير من عطائه ، ويطرد المسكين عن سفرته ، ولا يحظى الغريب بحسن ضيافته .

نزل أبو هريرة رضي الله عنه على قوم فلم يضيفوه ، فتنحى عنهم وجلس إلى طعامه ، ودعاهم ليألكوا معه فأبوا ، فقال : لا تنزلون الضيف ، ولا تجيبون الدعوة؟ ما أنتم من الإسلام على شيء ، فعرفه رجل منهم ، فقال له : انزل عافاك الله ، قال : هذا شرّ وشرّ ، ولا تنزلون إلا من تعرفون .

لقد كان ﷺ يكرم القريب والبعيد ، والصديق والغريب ، والمقيم والمسافر ، والفقير والغني ، وكان يقول : ابغوني ضعفاءكم .

قال تعالى : ﴿ **يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ .

[الإنسان : ٨]

والعجب من أناس كرمهم مبذول ، وجودهم موفور ، ولكن لأناس ليسوا إليه في حاجة ، ولم تنزل بهم فاقة . أما المحتاج والفقير ، والمسكين والمنقطع ، لو مكثوا على بابه أياماً ما ظفروا منه بشيء ، فهل ذلك الكرم أُريد به وجه الله؟ وبعض الناس أشد المحتاجين إلى كرمه جيرانُه ، وأفقر الناس إلى عطائه إخوانه .

ناري ونارُ الجار واحدةٌ
وإليه قبلي تُنْزل القدر
ما ضرّ جاراً لي أُجاورُه
أن لا يكون لبابه ستر

وقال الشاعر الجاهلي :

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم
وجاراتكم سُغبٌ يبتن خمائصا

وبعض الجيران حقه من جاره مزاحمة السيارات ، وروائح الأطعمة ودخان الأكل .

وجيرةٍ لا ترى في الناس مثلهمُ
إذا يكون لهم عيدٌ وإفطارُ
إن يوقدوا يشبعونا من دخانهمُ
وليس يبلغنا ما تنضجُ النارُ

يقول أحد الكرماء، وهي من أحسن ما قيل :

إذا ما عملت الزاد فالتمسي له
أكيلاً فإني لست آكله وحدي
بعيداً قصيّاً أو قريباً فإنني
أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي
وكيف يسيغ المرءُ زاداً وجارُه
خفيف المِعَى بادي الخصاصة والجهد

ويقول ﷺ : «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع» .

[صحيح الجامع]

٥ – ليس كريماً من يأكل الأموال بالباطل ، ويجمع الثروة من الحرام ، ثم يضيف الناس ، ويقيم الولائم ، ويعطي العطايا ؛ فالكريم هو من أخذ المال من حله ، وصرفه في حِلّه .

٦ – ليست الضيافة والكرم بتقديم الأكل والشرب ، أو بإعطاء العطايا فقط ، مع ضيق في الصدر ، وعبوس في الوجه ، وتقطيب للجبين . فمن أكرم الكرم حسن الخلق ، ومن أجود الجود : طيب المعاشرة ، ولطف المعاملة .

قال ﷺ : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن ليسعهم منكم بسطُ الوجه ، وحسن الخلق » [أخرجه الحاكم والبيهقي] .

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله
ويخصب عندي والمحلّ جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجهُ الكريم خصيب

٧ – ليس من الكرم أن يتكلف الإنسان مالا يطيق ، ويحمل نفسه ما لا تستطيع ، وفي الحديث عن سلمان رضي الله عنه قال : « نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا » [رواه أحمد] ، فالجود من الموجود ، والإكرام مما في اليد .

إذا تكرّهت أن تعطي القليل ولم
تقدر على سعةٍ لم يظهر الجودُ

بـثَّ الـنـوال ولا تمـنـعـك قـلّـتُـــــــه
فكل مـا سـدَّ فـقـراً فـهـو مـحـمـود

وأخيراً .. كان أحد الصحابة ليس لديه مال ولا طعام ولا شيء يكرم به الضيف ويجود به على الناس ويبذله للسائلين ، ذلك هو أبو ضمضم رضي الله عنه فكان إذا أصبح الصباح قال : «اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس وقد تصدقت بعرضي فمن شتمني أو قذفني فهو في حل» ، فقال ﷺ : «من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم» .

ذكر ابن القيم – رحمه الله – أن للجود عشر مراتب وهي :

الأولى : الجود بالنفس . وهي أعلى مراتبه ، كما قال الشاعر :

يجـــود بالنفس إن ضنَّ البـــخـــيل بهـــا
والجـــود بالنفس أقـــصى غـــاية الجـــود

الثانيـــة : الجود بالرياسة ، وهي ثاني مراتب الجود ، فيحمل الجواد جودُه على امتهان رياسته ، والجود بها ، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس .

والثالثـة : الجود براحته ورفاهيته ، وإجمام نفسه ، فيجود بها تعباً وكدّاً في مصلحة غيره ، ومن هذا جود الإنسان بنومه ولذته لمسامره ، كما قيل :

مُـــتَـــيَّمُ بالنّدى ، لو قـــال ســـائله :
هب لي جـــمـــيع كَـــرَى عـــينيك ، لم يَنَمِ

الرابعة : الجود بالعلم وبذله ، وهو من أعلى مراتب الجود . والجود به أفضل من الجود بالمال ؛ لأن العلم أشرف من المال .

الخامسة : الجود بالنفع بالجاه ، كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه ، وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد ، كما أن التعليم وبَذْل العلم زكاته .

السادسة : الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه ، كما قال ﷺ : يصُبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، يعدل بين اثنين صدقة ، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة صدقة ويُميط الأذى عن الطريق صدقه » متفق عليه .

السابعة : الجود بالعرض ، كجود أبي ضمْضم من الصحابة رضي الله عنهم ، كان إذا أصبح قال : « اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس ، وقد تصدقت عليهم بعرضي ، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل ، فقال النبي ﷺ : « من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم؟ » .

وفي هذا الجود من سلامة الصدر ، وراحة القلب ، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه .

الثامنة : الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء ، وهذه مرتبة شريفة من

مراتبه ، وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال ، وأعزّ له وأنصر وأملك لنفسه ، وأشرف لها . ولا تقدر عليها إلا النفوس الكبار .

فمن صعب عليه الجود بماله فعليه بهذا الجود ، فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا جود الفتوة قال تعالى : ﴿ **وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ** ﴾ .

التاسعة : الجود بالخُلق والبشر ، وهو فوق الجود بالصبر والاحتمال والعفو وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وإنه أثقل ما يوضع في الميزان .

قال النبي ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه » [رواه أحمد] ، وفي هذا الجود من المنافع والمسار ، وأنواع المصالح ما فيه . والعبد لا يمكنه أن يسعهم إلا بخلقه واحتماله .

العاشرة : الجود بتركه ما في أيدي الناس ، فلا يلتفت إليه ، ولا يستشرف له بقلبه ، ولا يتعرض له بحاله ولا لسانه ، وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك : « إنه أفضل من سخاء النفس بالبذل » .

فلسان حال القدر يقول للفقير الجواد : وإن لم أعطك ما تجود به على الناس ، فَجُدْ عليهم بزهدك في أموالهم وما في أيديهم ، تُفْضِل عليهم ، وتزاحمهم في الجود ، وتنفرد عنهم بالراحة .

obeikandl.com

الغضب

أقبل رجل ونفسه متشوقة ، وأذنه صاغية ، وفؤاده متطلع . أقبل إلى أين ؟ ومشى إلى من؟ ويتطلع إلى من؟ أقبل إلى المصطفى ﷺ إلى المعلم الأعظم ، والمربي الأكمل ، إلى من أوتي جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً يريد منه موعظة بليغة ، ووصية جامعة ، وكلمة نافعة ، فناجاه في أدب واحترام ، وتَطلُّع وترقب ، يا رسول الله أوصني ، قال : «لا تغضب» ، استمع الرجل ، وهو لا زال حانياً رأسه ، مرخياً سمعه ، يريد أن يسمع بقية الوصية وتكملة الموعظة ، فإذا بالنبي ﷺ يقف عندها ولا يزيد عليها شيئاً ، فيكرر الرجل طلبه مرة أخرى ، يا رسول الله أوصني ، قال : «لا تغضب» ، فردد مراراً ، قال : «لا تغضب» [أخرجه البخاري] . إنها وصية موجزة ، وموعظة مختصرة ، ولكنها جامعة مانعة ، وهي تدل على أن الغضب جماع الشرّ ، وأن التحرز منه جماع الخير ، وفي رواية أخرى أن رجلاً قال : يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل عليّ لعلي أعقلُهُ ، قال : «لا تغضب» فأعاد عليه مراراً كل ذلك يقول : «لا تغضب» ، «لا تغضب» ، «لا تغضب» فلماذا لا تغضب؟؟ .

الغضب جماع الشر ، ومصدر الهلاك ، وعنوان الدمار ، الغضب خلق أحمق ، وتصرف أهوج ، وداء مزعج ، وخطر محدق ، وشيطان

مقلق ؛ الغضب نار في الفؤاد ، وجمرة في القلب ، وشرار في العين وحمرة في الوجه ، وتوتر في الأعصاب ، وانتفاخ في الأوداج ، وحمق في التصرف ، ومسارعة للانتقام ، ومبادرة للتشفي ؛ آثاره أليمة ، ونتائجه عظيمة ، وعواقبه وخيمة ؛ دُمِّرت به أُسَر ، ومُزِّقت به بيوت ، وقطّعت به أرحام ، وأشعلت به فتن ، وقامت بسببه محن ، وزرعت بفعله إحن ؛ رمّلت به نساء ، وأريقت به دماء ، يُغضب الرحمن ، ويفرّق الإخوان ، ويعمي الأبصار ، ويُصمّ الآذان .

الغضب : خلق ذميم ، وتصرف لئيم ، وفعل مشين ، مفتاح لأكثر البلايا ، وسبب لأعظم الرزايا ، هذا إذا زاد عن حدّه ، وخرج عن قصده ، وإلا فالغضب موجود ، وبعضٌ منه محمود .

الغضب هو غليان دم القلب طلباً لدفع الأذى ، أو الانتقام ممن وقع منه الأذى . وإننا في هذا الواقع الذي نعيشه ، والذي زادت فيه متطلبات الحياة ، وتعقدت أمورها ، وتعددت شرورها ، أصبحنا نرى الغضب يسري في النفوس ، ويجري في الدماء ، فكثير من الناس في غضب دائم وتوتر مزعج ، وقلق مرهق . أظلمت القلوب ، وخافت النفوس ، وتوترت الأعصاب ، ظاهرةٌ أصبحت تُرى حتى في الأطفال الصغار ، وقد نُقلت إليهم عدواه ، وشملتهم بلواه ، ظهرت عليهم أسبابه ، وبدت فيهم آثاره وكأنما رضعوه مع اللبن ، ورشفوه مع الحليب .

كثرت الخصومات ، عظمت الشكايات ، تفككت أعداد من الأسر ، وتمزقت فئام من الأواصر ، كثر الطلاق ، وعظم الفراق ، واستشرى

الشقاق ، وأغلب ذلك بأسباب الغضب ، فالحاجة إلى دراسة أسبابه واجبة ، والاجتهاد في محاولة دفعه متحتم .

الغضب خلقٌ زرع في الإنسان ، فهو صفة من صفاته ، وآية من آياته مثله مثل الحلم والضحك والبكاء .. وغيرها . ولكن له حد معين يجب أن لا يتعداه ، وقانون محدد يجدر أن لا يتخطاه ، ومن صفات الله تعالى الغضب ، ولكن اقتضت حكمته ورحمته وحلمه جل وعلا أن تسبق رحمتُه غضبه ، فسبحانه ما أحلمه وأعظمه!! . وقد امتدح الله تعالى عباده المؤمنين الذين يملكون أنفسهم عند الغضب ، يغفرون ويصفحون ويحلمون ويعفون ، بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ [الشورى : ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ .

[النور : ٢٢]

وقال ﷺ مبيناً أن الرجل الشديد ، والفارس الشجاع ، ليس هو الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه ، ولكن الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب ، فقال : « ليس الشديد بالصُّرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » [متفق عليه] .

وسئل ﷺ : يا رسول الله ماذا يباعدني من غضب الله عز وجل؟

قال: «لا تغضب» [رواه أحمد] ، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل ، فمن تخلق بالحلم ، ومشى بالتسامح ، وتعامل بالعفو يكافئه المولى جل وعلا بالعفو عنه وعدم الغضب عليه .

ولقد كان من روائع دعائه ﷺ ومن جوامع كلمه قوله : «اللهم إني أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا» [رواه أحمد] ، وما أعظم هذا الدعاء لمن يتأمله! إنه دعاء عظيم ، وهو مع ذلك يحمل في طياته توجيهاً من المصطفى ﷺ للمسلم بأن يكون عادلاً ، وأن يقول كلمة الحق في حال غضبه وفي حال رضاه .

روي عن ذي القرنين – رحمه الله تعالى – أنه لقي ملكاً من الملائكة فقال : «علمني علماً أزدد به إيماناً ويقيناً ، قال : لا تغضب ؛ فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ، فرُدَّ الغضب بالكظم ، وسَكِّنه بالتؤدة ، وإيّاك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظّك ، وكن سهلاً ليِّناً للقريب والبعيد ، ولا تكن جبَّاراً عنيداً» .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت : ٣٤] ، قال : «الصبر عند الغضب ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا عصمهم الله ، وخضع لهم عدوُّهم» .

وقال عروة بن الزبير – رضي الله عنهما – : «مكتوبٌ في الحِكَم: يا داودُ إيَّاك وشدة الغضب فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم» .

وقال ابن القيم – رحمه الله – : «دخل الناس النار من ثلاثة أبواب :

باب شبهةٍ أورثت شكّاً في دين الله ، وباب شهوةٍ أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته ، وباب غضبٍ أورث العدوان على خلقه» .

بعض أسباب الغضب :

١ – قلة الصلة بالقرآن الكريم ، ومعرفة ما أعده الله تعالى من الأجر لمن كظم غيظه ، وكف غضبه ، وعفا وأصلح ، وصبر وغفر ، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى : ٤٠].

وقال تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤].

قال ابن عباس في تفسيرها : «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم» .

٢ – قلة المعرفة بسنة النبي ﷺ وبهديه في الغضب وعلاجه ، فهو لم يغضب لنفسه قط ، ولم ينتقم لها قط ، وكان حليماً يحب الحلم ، رفيقاً يحب الرفق .

٣ – قلة العقل وضيق التفكير ، فإن الإنسان العاقل ، والرجل البصير لا يكون كالطفل الصغير أو المجنون ، يثور لأتفه الأسباب ، ويغضب لأدنى الأمور . المتعقّل يقوده عقله إلى الصبر وسعة الصدر ، والتحمل وكسب المودة ، والنظر في عواقب الأمور .

٤ – كثرة متطلبات الحياة وتعقُّد أمورها ، من الأسباب التي تجعل المرء في

قلق دائم ، وتوتر مستمر ، فهو في لهثٍ دائم ، وجري مستمر ، وكدح مضنٍ .

٥ – التكبر ورؤية النفس : فإن المتكبر سريع الغضب ، دائم القلق ، شديد الجزع ، يغضب لأي أمر يتعارض مع كبريائه ، وينال من انتفاخه وانتفاشه ، حتى إن بعض المتكبرين يغضب لمجرد ردِّ السلام عليه .

٦ – الغرور : إما بمنصب أو بمال أو بجاه ، فالمغرور دائماً سريع الغضب ، لا يرى معه أحداً ، ولا يتحمل زلة ، ولا يقبل رأياً ، ولا يسمع نصحاً .

٧ – نشدان الكمال دائماً : إما من المسئول مع من حوله ، وإما من الرجل لزوجته ، وإما من الأب لأبنائه ، فالذي يريد الكمال دائماً إنما يطلب المستحيل ، ولذلك يغضب لأدنى تقصير ، ويثور لأقل خطأ ، حتى إن بعضهم قد يقيم الدنيا ولا يقعدها إذا زاد ملح الأكل ، أو قلّت توابل السلطة .

٨ – الشعور بالنقص ، فالمدرس الفاشل في تدريسه ، والرجل الضعيف في بيته ، يحاول أن يعوض هذا النقص بافتعال الغضب ، واستمرار التوتر حتى لا يجرؤ أحد على سؤاله ، ولا يقوى إنسان على مناقشته .

٩ – إثارة النعرات والعصبيات الجاهلية ، فهذه من أهم الأسباب ، ومن

أعظم الدوافع لحصول الغضب ، واستثارة الانتقام . ولقد كادت نارها تشب الفتنة بين الصحابة من الأوس والخزرج حينما تشاجر رجلان ، فقال هذا : يا للأوس ، وقال الآخر : يا للخزرج، لولا أن أسرع إليهم النبي ﷺ فوعظهم وذكّرهم وتلا عليهم القرآن حتى بكوا ورموا سيوفهم واحتضن بعضهم بعضاً .

١٠ – وهذا السبب خاص بالنساء وهو : الغيرة من تعدد الزوجات ، فإن المرأة التي يكون لزوجها امرأة أخرى تعظم غيرتها ، وتتوتر أعصابها ويعظم قلقها ، فيجب مراعاة ذلك ، ويجب على من له أكثر من زوجة أن يحسن إليهن ، وأن يتحمل زللهن ، وأن يعدل بينهن ، وأن يراعي مشاعرهن ؛ فإن ذلك أمر لا قِبل لهن به ، وقد يؤدي بالمرأة أحياناً إلى انتقام كبير ، أو كارثة عظمى ، أو انهيار عصبي .

عصمنا الله وإياكم من الغضب وأسبابه ، والعنف ونتائجه .

أسباب تسكين الغضب :

١ – أن يذكر الإنسان الله عز وجل وقدرته عليه .

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤] ، قال عكرمة : يعني إذا غضبت .

يروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى : « اذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظُلمت فارضَ بنصرتي لك فإنها خير من نصرتك لنفسك » .

ويروى أن بعض الملوك كتب كتاباً وأعطاه وزيراً له ، وقال : إذا غضبتُ فناولنيه ، وكان فيه : مالك وللغضب إنما أنت بشر ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء .

ويروى أن أحد الملوك كان إذا غضب أُلقيَ عنده مفاتيح مقابر الملوك فيزول غضبه .

وقال رجل لهارون الرشيد – وقد غضب عليه وكاد أن يعاقبه – : « يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ مني بين يديك ، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني » ، فعفا عنه .

٢ – أن يذكر ما أعده الله من الثواب لمن كظم غيظه وعفا وأصلح :

قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى : ٤٠].

وقال تعالى عن المتقين : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٤].

كانت جاريةٌ تصب الماء على يدي جعفر الصادق – رحمه الله – فوقع الإبريق من يدها فانتثر الماء عليه ، فاشتد غضبُه ، فقالت له : يا مولاي ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ ، قال : كظمت غيظي ، قال : ﴿ **الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾ ، قال : عفوت عنك ، قالت : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ ، قال : أنت حرّة !! فانظر احترامهم لآيات القرآن وآدابه .

وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخَيّره في أي الحور شاء » [رواه الترمذي].

وقال ﷺ : «ما تجرّع عبد جرعةً أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله عز وجل» [رواه احمد].

غضب عمر بن عبد العزيز يوماً ، فقال له ابنه عبد الملك : يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضّلك به تغضب هذا الغضب؟! ، فقال له : أوما تغضب يا عبد الملك ، قال وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردّد فيه الغضب حتى لا يظهر!.

٣ - التعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت : ٣٦].

استبّ رجلان عند النبي ﷺ والصحابة جلوس عنده ، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً ، قد احمرّ وجهه ، فقال النبي ﷺ : «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» [أخرجه البخاري].

٤ - الوضوء :

قال ﷺ : «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» [رواه أبو داود].

٥ - تغيير الهيئة :

قال ﷺ : «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» [رواه أبو داود].

٦ - السكوت :

قال ﷺ : «علموا ويسّروا ولا تعسِّروا ، وإذا غضب أحدُكم فليسكت» [رواه أحمد].

٧ - أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم :

فكم من إنسان تدمرت حياته ، وشقيت أسرته بسبب الغضب ، فيغضب الرجل غضباً شديداً فيطلق زوجته ، ثم يندم بعد ذلك وقد لا ينفع الندم . يغضب الإنسان غضباً شديداً فيعاقب أبناءه بما يندم عليه ، أو يموت منه كمداً .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عُمَّاله أن لا تعاقب عند غضبك ، وكان – رحمه الله – إذا غضب على أحد يسجنه ثلاثة أيام ، ثم يعاقبه حتى لا يعاقبه وهو في سورة غضبه وحدة انفعاله خشية أن يتجاوز الحد في العقاب .

قال الحكماء : إياك وعزّة الغضب فإنها تفضي إلى ذل العذر .

وقال أحد السلف : ما تكلمت في غضبي قط بما أندم عليه إذا رضيت .

وقال علي بن أبي طالب : أول الغضب جنون وآخره ندم ، وربما كان العطب في الغضب .

وقال بعض الحكماء لابنه : «يا بنيّ لا يثبت العقل عند الغضب ، كما لا تثبت روحُ الحيّ في التنانير المسجورة ، فأقل الناس غضباً أعقلهم»

وقال آخر : من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار .

٨ - الترفع عن الجهال والصبر عليهم وعدم مجاراتهم :

فإن الإنسان إذا تدنى إلى مستواهم أصبح مثلهم . يروى أن رجلاً أسمع أبا الدرداء كلاماً ، فقال له أبو الدرداء : يا هذا لا تُغرقنّ في سبّنا ، ودع للصلح موضعاً ، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

وشتم رجل الشعبي ، فقال له : إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي ، وإن لم أكن كما قلت ، فغفر الله لك .

وأغلظ رجلٌ القول لعمر بن عبد العزيز ، فنظر إليه عمر ، فقال : أردتَّ أن يستفزني الشيطان بعزِّ السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً؟! .

الغضب المحمود :

من الغضب ما يكون محموداً بل ما يكون واجباً ، وهو الغضب لله عز وجل . لم يكن ﷺ يغضب لنفسه ، ولكن إذا انتُهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء . وهذا على العكس من حالنا تماماً إلا من رحم ، فنحن نغضب لأنفسنا ، ولكن قلّ منا من يغضب لله تعالى ، نرى محارم الله تنتهك فلا نغضب ، نرى المعاصي تعاقر أمامنا فلا نغضب ، نرى المخالفات في أبنائنا وبناتنا وبيوتنا فلا نغضب ، ولو نيل من حقوقنا شيء غضبنا غضباً شديداً .

أمر الله جبريل أن يدمّر قرية من القرى ، فقال : « يا رب إن فيها عبدك الصالح فلاناً ، فقال تعالى : به فابدأ فإنه لم يتمعَّر وجهه مرة من أجلي » ، فأين الغضب لله اليوم؟ وأين الغضب على حرماته؟ بل أين الغضب على مقدساته؟ بل أين الغضب لإخواننا المسلمين؟ الذي يمزقون في أنحاء الدنيا ، أين الغضب لأعراض المسلمات التي تنتهك جهاراً نهاراً؟ كل غضب المسلمين اليوم لا يتعدى كلمة أو شجباً أو إنكاراً ، أو تعليقاً في صحيفة ، ولكنهم لأنفسهم ومصالحهم الشخصية لا أحد أسرع منهم غضبا .

وقد ذكر الغزالي – رحمه الله – أن الغضب ثلاث درجات ، وهي : التفريط ، والإفراط ، والاعتدال .

التفريط : يكون إما بفقد قوة الغضب بالكلية أو بعضها ، وحينئذٍ يقال للإنسان إنه لا حمية له ، ومن هنا قال الشافعي : من اسْتُغضب فلم يغضب فهو حمار .

والإفراط : يكون بغلبة صفة الغضب حتى تخرج عن سياسة العقل والدين والطاقة ، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار ، وهذا النوع مذموم أيضاً .

والاعتدال : وهو المحمود وذلك بأن ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية ، وينطفئ حيث يحسن الحلم .

اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك ،،،

الحِلْم

الحِلْم من أسماء المولى ، وصفاته الحسنى ، وسماته العظمى .

الحِلْم خلق الأنبياء ، وديدن العظماء ، وسجية النجباء ، وعنوان الكرماء ؛ الحلم روح الأخلاق ، ولباب الآداب ، وملك السجايا ، وسلطان المزايا ، الحلم دليل على حسن الخلق ، ولطف التعامل ، وبعد النظر ، وسعة الصدر ، وكمال العقل ، وعلو الهمة ، وقوة الإيمان ، وروح التواضع ولين الجانب ؛ كمال العلم في الحلم ، وزينة الفهم بالحلم ، ومفتاح القلوب في الرفق ، واستنجاح المودّة بالعفو ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

الحلم صفةٌ تُكسب المحبّة ، وتورث الإجلال ، وتدعو إلى التآلف ، تزيل البغض ، وتمنع الحسد ، وتدفع الحقد .

المؤمن هادىء النفس ، واسع الصدر ، وافر الحلم ، مطمئن القلب لا يستفزه الغضب ، ولا يستثيره الحمق ، ولا يقوده الهوى ، الحلم منزلة عظمى ، وشرف أسمى ، قال تعالى ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [الشورى : ٤٣] ، فهو عزم وليس خوراً ، وهو قوة وليس ضعفاً ، وقد قيل : الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تعالى تسمى به فهو الغفور

الحليم ، وهو العفو الكريم ، لا أعظمُ منه حلماً ، ولا أكثر منه عفواً ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ، يحب الحلم ويحب أهله ويتجاوز عنهم ويغفر لهم ، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور : ٢٢].

وهو تعالى حليم عن عباده ، لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم ويمهلهم بعد المعصية ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام ، ويقبل توبتهم بعد ذلك .

يقول ﷺ : «وما من شيء أحبُّ إلى الله من الحلم» .

[الصحيحة : ١٧٩٥]

قال ﷺ لأشجّ عبد القيس : «إن فيك خُلتين يحبهما الله : الحلم والأناة» [رواه مسلم وأبو داود] ، فهو تعالى حليم يحب الحلم ، رفيق يحب الرفق ، عفو يحب العفو ، لا أحد أوسع حلماً من الله ، ولا أحد أصبر على أذى من الله ، يتجرأ عليه العاصون ، وينتهك حرماته المسرفون ثم يناديهم نداء المتحبِّب ، ويدعوهم دعاء المتلطِّف : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣].

تجرأ عليه الكفرة ، وتطاول عليه الفجرة ، فقالوا إن الله ثالث ثلاثة ، فناداهم بقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة : ٧٤] ، فسبحانه ما أعظمه وأحلمه!! ، ولقد منّ على أوليائه بأن

زرع فيهم هذه الصفة ، وغرس في قلوبهم تلك السمة ، فمن أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً ، ومن حُرِمها فقد حُرِم خيراً كثيراً ، قال ﷺ : «من يُحرم الرفق يحرُم الخير كله» [رواه مسلم].

ولقد كان ﷺ مثلاً في الحلم ، وآيةً في الرفق ، وقدوةً في حسن العفو ، تأدب بأدب الرحمن ، وتخلق بخلق القرآن ، فساد بالحلم ، وعَظُم بالرفق ، وعزّ بلين الجانب ، قال الله تعالى عنه : ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، ناداه ربه بقوله تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، فاستمع النداء ، وامتثل الخطاب ، وقبل الأمر ، وسعد بالتوجيه ، فضرب المثل الأعلى في حلمه ، وبلغ الغاية القصوى في لطفه ، ونال المرتبة المثلى في عفوه .

ثارت القبائل في وجهه ، وسطت العشائر على عرضه ، ووقف الخصوم أمامه ، رموا الأشواك في طريقه ، وضعوا السلا على رأسه ، وأغروا به سفهاءهم ، وأظهروا له عداءهم ، ألحقوا به الشتائم ، وضاعفوا له الجرائم ، بالغوا في شتمه ، وأسرفوا في سبِّه ، وولغوا في عرضه ، وتفانوا في أذيته ، فلم يصرخ ولم يضجر ، ولم يسب ولم يُقذع ، ولم يشتم ولم يلعن . قيل له ادع الله على المشركين والعنهم فقال ﷺ : «إنما بعثت رحمةً ولم أُبعث لعاناً» [رواه مسلم] .

أرسل الله إليه ملك الجبال فقال له : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي ﷺ : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً» [متفق عليه] .

وبعد أن نصر الله عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وقف ﷺ في فتح مكة عزيزاً منتصراً ، فائزاً مظفراً ، ووقف أمامه المشركون الذين عظمت مكائدهم ، واشتد أذاهم ، وكَبُر إجرامهم ، وقفوا أمامه مُنَكَّسة رؤوسهم ، كالحةً وجوههم ، طائشة أحلامهم ، مرتعدةً فرائصهم وجلة قلوبهم ، ينتظرون العقاب الصارم ، والنكال الجازم ، فهتف بهم ﷺ : « ما تظنون أني فاعل بكم » ، فقالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم فقال : « أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ **قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ ؛ اذهبوا فأنتم الطلقاء » [السيرة النبوية لابن هشام] .

هكذا كان ﷺ ، وهكذا يكون العظماء ، العظيم كلما حلّق في آفاق الكمال اتسع صدره ، وامتدّ حِلمه ، وعَظُم عفوه . جاء الإسلام وأهل الجاهلية ينادي قائلهم :

ألا لا يجهلن أحَدٌ علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فنادى الإسلام نبيه وأتباعه بقوله سبحانه : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ . [الأعراف : ١٩٩]

جاء الإسلام وقائلهم يقول :

وهل أنا إلا من غزيَّة إن غُوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

فنادى الرحمن عباده بقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ**

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ .

[فصلت : ٣٤]

وامتدح تعالى عباده بقوله : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾ .

[الفرقان : ٦٣]

إن شتائم الجهال ، وسفاهات الأنذال ، وسباب المتخلفين لاتطيش لها أحلام العظماء ، ولا تنصرف إليها عقول الحلماء ، تهجّم قوم هودٍ عليه بقولهم : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الاعراف : ٦٦] فلم يزد على دفع التهمة عن نفسه ، قال : ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ ، فالمعلم الكبير لا يضيق بهرف ضعاف العقول ، وصغار الهمم .

بال أعرابي في المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النبي ﷺ : « دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء – أو ذنوباً من ماءٍ – فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسِّرين » [رواه البخاري].

قال لقمان الحكيم : « ثلاثةٌ لا يُعرفون إلا عند ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة » .

روي أن رجلاً قال للصديق رضي الله عنه : لأسبنك سبّاً يدخل معك قبرك ، فقال له : معك – والله يدخل – لا معي .

وتهجم رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له : هيه يا بن

الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بالعدل ، فغضب عمر حتى همَّ أن يوقع به ، فقيل له : يا أمير المؤمنين إن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وإن هذا من الجاهلين ، فحينما سمع عمر الآية لم يجاوزها ، وقف عندها وامتثل أمرها ، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : « تعلّموا العلم ، وتعلّموا للعلم السكينة والحلم » .

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه . ويقول : إن أول عوض الحليم من حلمه ، أن الناس أنصار له على الجاهل .

وكان معاوية رضي الله عنه يقول : « إني لآنفُ أن يكون في الأرض جهلٌ لا يسعه حلمي ، وذنبٌ لا يسعه عفوي ، وحاجة لا يسعها جودي » .

وقال لابنه يزيد : « يا بني من عفا ساد ، ومن حَلُم عَظُم ، ومن تجاوز استمال إليه القلوب » .

ويقول رضي الله عنه : « لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوّة العلم » .

وقد كان الأحنف بن قيس مضرب المثل في الحلم ، ومثار العجب في العفو ، وسوّده قومه لوفرة حلمه ، وبديع عفوه ولطفه ، وكان يقول : ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث ، إن كان أعلى مني عرفت له

فضله ، وإن كان مثلي تفضلت عليه ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه .

إذا مـــا طاش حلمك عن عـــدوٍّ
وهان عليك هجـــران الصـــديق
فلست إذاً أخـــا عـــفـــوٍ وصـــفحٍ
ولا لأخٍ على عـــهـــدٍ وثيق
إذا زلّ الرفـــيقُ وأنت دومـــاً
بلا رفقٍ بقـــيت بلا رفـــيق

قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – : ما قرن شيء إلى شيء أحسنُ من حلمٍ إلى علم ، ومن عفو إلى قدرة .

وسأل هارون الرشيد أعرابياً : بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة؟ قال : بحلمه عن سفيهنا ، وعفوه عن مسيئنا ، وحلمه عن ضعيفنا ، لا منانٌ إذا وهب ، ولا حقود إذا غضب ، رحب الجنان ، سمح البنان ، ماضي اللسان . فأشار الرشيد إلى كلب صيدٍ كان أمامه ، وقال : لو كانت هذه الصفات في هذا الكلب لاستحق بها السؤدد .

وقد كان المأمون – رحمه الله – من أحب الناس للعفو ومن أوفرهم في الحلم ، يقول : لقد حبب إليّ العفو ، حتى إني أخاف أن لا أثاب عليه – أي أنه أصبح عادة مألوفة له – وكان يقول : لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها .

فـفي الحلم إتقـانٌ وفي العـفـو هيـبـةٌ
وفي الصـدق منجـاة لمن كـان صـادقـا
ومن يلتـمس حـسن الثناء بماله
يكن دائمـاً في حلبـة المجـد سـابقـا

قال الماوردي – رحمه الله – : «الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب ، لما فيه من سلامة العرض ، وراحة الجسد ، واجتلاب الحمد» .

وقال أكثم بن صيفي – رحمه الله – : «دِعامةُ العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر» .

وقال عامر الشعبي – رحمه الله – : «زَيْن العلم حِلمُ أهله» .

وقال ابن حبّان – رحمه الله – : «الحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام ، وهو يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت ، ومن يتَّصفْ به يكنْ عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأجر ، مرضيّ الفعل ، ومن أجل نفاسته تسمى الله به فسمِّي حليماً» .

الحلم صفة جميلة ، وخُلّة عظيمة ، ووفرة الحلم عنوان العلم ، وكثرة العفو زيادة في العمر . يجب على من ولي من أمر المسلمين شيئاً أن يكون رفيقاً بهم ، حليماً عليهم ، قال سبحانه : ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، يقول ﷺ : «اللهم من ولي من أمر أمّتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً

فرفق بهم فارفق به » [رواه مسلم].

يجب على المسلم أن يكون حليماً مع أقاربه متحمِّلاً لزللهم ، عفُوّاً عن أخطائهم ، قال رجل : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلُم عنهم ويجهلون عليّ ، فقال : « لئن كنتَ كما قلت فكأنما تسفّهم المَلّ – والملّ : الرماد الحار – ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك » [رواه مسلم].

قال الشافعي – رحمه الله – :

يخاطبني السفيه بكل قبحٍ
فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهةً فأزيد حلماً
كعودٍ زاده الإحراق طيبا

يجب على العالم والداعي إلى الله تعالى ، أن يكون رفيقاً بمن يدعوهم ، لين الجانب ، واسع الصدر ، منشرح الخاطر ، بعيداً عن العنف ميالاً للطف ، متحملاً للأذى ، أسوة بالأنبياء ، وسيراً على منهج العظماء . فذاك أبو الأنبياء ، وإمام الحنفاء ، امتدحه تعالى بقوله : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وقال عنه : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ** ﴾ [هود : ٧٥] ، وحينما منّ عليه بإسماعيل بين أن من أعظم مزاياه ، وأجمل صفاته الحلم ، فقال تعالى عنه : ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ﴾ [الصافات : ١٠٠] ، وهكذا كان ﷺ يعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويصل من قطعه ، ويتجاوز عن المسيء ، ويصفح

عن المذنب ، وقد قال ﷺ : «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» .

[أخرجه أبو داود]

وأخبر بقوله : إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف» [صحيح الجامع] ، فالعنف ممقوت حتى ولو كان في الدعوة إلى الله أو في الأمر بالمعروف ، فكيف به في غير ذلك . وقد يتعرض الداعية لشيء من العناد أو العنت أو الأذى أو عدم قبول النصح ، فيغضب ويزمجر ويشتط حتى يخرج عن الصواب وقد يفقد دينه ، ويخسر إيمانه .

يقول علي رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك .

لا يبلغ المجد أقوام وإن كَرُموا
حتى يذلُّوا وإن عَزُّوا لأقوام
ويُشتموا فترى الألوان مسفرة
لا صفح ذلٌّ ولكن صفح أحلام

وقال الحسن رضي الله عنه : اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم .

ألا إن حلم المرء أكرم نسبة
تسامى بها عند الفخار حليم
فيا رب هب لي منك حلماً فإنني
أرى الحلم لم يندم عليه كريم

وأخيراً قال ﷺ : «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هَيّنٍ لين سهل» [رواه الترمذي].

الصبر

قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر].

الصبر مطيّةٌ لا تكبو ، وصارم لا ينبو ، وحصن لا يهدم ، وَحَدٌّ لا يثلم ، الصبر أفضل عُدَّة على الشدة ، وأكرم وسيلة لنيل الفضيلة ، وأجمل أسلوب لطمأنينة القلوب ، الصبر حسن توفيق ، وأمارة سعادة ، ودليل رشادة ، وعنوان إيمان ، وأنموذج إذعان ، الصبر رضاً بالقدر ، وتحمل للبلاء ، وتسليم للجبار ، واستجابة لمقدر الأقدار .

الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب ، وحبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع .

والحادثات إذا أصابك بؤسها
فهو الذي أدراك كيف نعيمها

إذا ادْلهمّت الأمور ، واسودت الحياة ، وأظلمت الدنيا فالصبر ضياء!.

إذا عظم الجزع ، واشتد الخوف ، وهيمن القلق ، فالصبر جلاء!.

إذا انسدت المطالب ، وعظمت المصائب ، وكثرت الرزايا ، وزادت البلايا ، فالصبر دواء!.

إذا نزل المكروه ، وحل الأمر المخوف ، واحتيج لمصارعة الحتوف ، فالصبر التجاء! .

إذا أصبح الدين في غربة ، والإسلام في كربة ، وعمت المعاصي ، وهيمنت الشهوات ، وعظمت الشبهات ، فالصبر عزاء! .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٣].

اعلم أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، واليسر مع العسر. بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور ، وعند انسداد الفُرَج تبدو مطالع الفَرَج ، ومن يتصبر يصبره الله .

الصبر دليل على عظمة الإرادة ، وقوة العزيمة ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى : ٤٣] .

الصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش هو تجرع المرارة من غير تعبس ، والرضا بالمكتوب من دون تسخط ، هو البعد عن المخالفة ، والسكون عند تجرع الغصة ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر ، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب ، وتعويد النفس الهجوم على المكاره . هو الاستعانة بالله ، وترك الشكوى ، وهو من آكد الدلائل على المحبة ، وأصدق البراهين على الإيمان ، فهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ .

الصابرون تفتح لهم الأبواب ، ويوفون أجورهم بغير حساب ، ويعطون جزاءهم بأحسن أعمالهم ، قال جل وعلا ﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل : ٩٦] ، زفت لهم البشارة فقيل لهم : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾ ، وبشروا بقبول الأعمال الصالحة ، والحظوظ العظيمة ، فقيل عنهم : ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [فصلت : ٣٥] .

الفوز بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب ، وتمام المنة ، ودخول الجنة .. يناله الصابرون ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [الرعد : ٢٣] ، وكفى بالصبر شرفاً أنه اسم من أسماء الله جل وعلا، فمن أسمائه : «الصبور» ، وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام ، وقد ورد الصبر في القرآن الكريم في سياقات عديدة منها :

١ – الثناء على أهله ، قال تعالى : ﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة :١٧٧].

٢ – الاستجابة لأمر الله تعالى بالصبر والاستعانة به ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة :١٥٣].

٣ – الإخبار أن أهل الصبر مع أهل العزائم ، قال تعالى : ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [الشورى :٤٣].

٤ – يورث صاحبه الإمامة ، قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا**

صَبَرُوا . . ﴾ [السجدة : ٢٤].

وقد قيل : الصبر لله غَناء ، وبالله بقاء ، وفي الله بلاء ، ومع الله وفاء وعن الله جفاء ؛ والصبر على الطلب عنوان الظفر ، وفي المحن عنوان الفرج .

الصبر منزلته رفيعة ، ودرجته عظيمة ، وعاقبته حسنة ، وأجره بغير حساب . إذا احتاجت الأمم قبلنا إلى الصبر ، ولاذت بأبوابه ، وانطرحت على أعتابه ، وتعلقت بحباله ؛ فليس أحد اليوم أحوج من أمة الإسلام إلى الصبر . فقد حلّت بها الكوارث ، ونزلت بها المصائب ، وتآمر عليها الأعداء ، وتكالب عليها الخصوم .

إذا كان المؤمن فيما مضى محتاجاً إلى الصبر ، ومتعرضاً للفتن ، ومنغصاً بالمحن ، فليس أحد اليوم أحوج من المؤمن إلى الصبر . فما أعظم البلية ، وما أشد الكربة ، وما أصدق الغربة!! شهوات محدقة ، وشبهات مغرقة ، وفتن مُقْلقة ، ونوازل مفزعة ، وكوارث مذهلة . عَظُم البلاء ، واشتد العِداء ، وكثرت الأدواء ، وخلع جلباب الحياء ، الصابر على الطاعة كالقابض على الجمر ، والملتزم بالدين كالفريسة بين الأسود الضارية ، كل يتحرش به ، كل يريد الانقضاض عليه ، كلّ يريد أن يمزق جسده ، ويقطع لحمه ، ويشرب دمه . وما من دولة تبدي توجهاً للدين ، أو احتراماً للمبدأ ، أو تطبيقاً للشرع ، إلا وانقض عليها الأعداء ، وحاربها الألداء ، وصوبت إليها السهام ، ورميت بالتهم العظام .

والصابر اليوم عن المعصية يتلظى بنار حامية ، وتعرض له في كل يوم داهية ، يهرب من المعصية فتلاحقه ، يتحصن في بيته فتتسلق جدران البيت وتدلف إليه ، يفر إلى البر يجدها أمامه ، يلوذ بالبحر فإذا بها تستقبله ، يحلّق في الجوّ فتقول له هيت لك . إن استنقذ منها نفسه عجز عن استنقاذ أبنائه وذويه .. فلا حول ولا قوة إلا بالله ولكن ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

وإن الحديث عن الصبر يحتاج إلى خطب عديدة ، ووقفات كثيرة للحديث عن منزلته وأهميته وأجره ورفعة أهله ، وللحديث عن أعظم الصابرين على مر العصور ، وعلى رأسهم الأنبياء ، وللحديث عن أقسام الصبر وأنواعه وما قيل عنه . ولكن حديثنا اليوم عن جزئية واحدة ، وقضية مهمة من قضايا الصبر ، ومواطن التحمل ، وهي الصبر على المصائب .

الصبر على ثلاثة أقسام : صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية وصبر على المصائب والحوادث .

وحديثنا عن الصبر على الحوادث والمصائب ..

في هذا الزمن كثرت الحوادث ، وعظمت الكوارث ، وتعددت المصائب . وأصبح الإنسان في وجلٍ لا ينقطع ، وخوف لا ينتهي ، فهو خائف يترقب لكثرة ما يرى من النوازل ، وما يسمع من الحوادث فيوم

يرى أن فلاناً فجع في أهله وأبنائه ، ويومٌ يسمع أن فلاناً الذي في أحسن صحة وعافية ابتلي بمرض خبيث ، وبلاءٍ مجهز ، أو قطعت يده ، أو بترت قدمه ، ويومٌ يسمع أن ذلك الآمن في بيته المستتر بستر ربه قد عرّضه أبناؤه لكارثة عظيمة ، أو فضيحة كبيرة ، انتشر موت الفجاءة ، وتعدّدت الأمراض المفزعة ، وكثرت الخسائر الفادحة ، والنكبات المدمرة ، والأمراض التي لم تكن فيمن قبلنا . وإنني أذكر نفسي وإخواني بأهمية الصبر ، وعظمة الأجر ، فإن كلاً منا معرض لشيء من هذه الحوادث ، وتلك النوازل ، وقد تأتيه بغتة ، وتحل به فجأة ، وهو في غفلة ودعة ، وراحة وسرور ، فيفاجأ بالنبأ ، ويصعق للخبر ، ويتضجر من القدر ، فيخسر الدنيا والآخرة . فالمؤمن يرضى بالقضاء ، ويسلم بالقدر ، ويحتسب المصيبة ، ويدخر الفجيعة ؛ فإن من علامات السعادة للمؤمن الصبر على الملمات ، والرفق عند النوازل، والرضا عند الحوادث .

لا يملأ الهول صدري قبل وقعته
ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا
ما سُدّ لي مطلعٌ ضاقت ثنيته
إلا وجدتُ وراء الضيق مُتسعا

وقد جمع الله تعالى للصابرين أربعة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي : حسن البشارة والصلاة منه عليهم ، ورحمته لهم ، وهدايته لهم ، فقال : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ .

[البقرة : ١٥٥]

يقول ﷺ : «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ اللهمّ اؤجرني في مصيبتي واخْلُف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها» [رواه مسلم].

فهنالك أمران مما يسلي المؤمن في مصيبته ، ويعينه عند محنته :

الأول : أن يعرف أن أهله وماله ملك لله عز وجل على الحقيقة ، وأنه ليس إلا أميناً على ما في يده ، فإذا أخذه الله تعالى منه فكأنه رد الأمانة إلى صاحبها ، فليس العبد هو الذي أوجد الشيء ، وإن المالك الحقيقي لذلك هو الله عز وجل ، وهو المتصرف فيما يريد .

الثاني : ما دام مصير العبد إلى الله فيجب عليه أن يعلم أن هذه الدنيا إنما هي رحلة قصيرة مهما طالت ، وأنه سيتركها عاجلاً أو آجلاً ، وأنه سيلقى ربه كما خلق أول مرة بلا أهل ولا مال، وإنما سيلقاه بحسناته وسيئاته ، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يفرح بموجود ، ويأمن لمفقود؟ ، وذلك ما يوحي به قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

إن الأمور إذا سدت مطالبها
فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة
إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فَرَجَا

أَخْلِق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

يقول الله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٥].

ويقول ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» [رواه مسلم].

مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبرٍ ، فقال : «اتقي الله واصبري» فقالت : إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه رسول الله ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك ، فقال : «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» [رواه مسلم].

وفي الحديث القدسي يقول تعالى :«ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» [رواه البخاري].

ويقول ﷺ : «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزنٍ ولا أذىً ولا غمٍ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» .

[رواه البخاري]

ويقول ﷺ : «ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» [رواه الشيخان].

ويقول ﷺ : «إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط» [رواه الترمذي].

فيامن بليت بمصيبة من مرض مزعج ، أو ألم مضنٍ ، أو فقد لقريب ، أو موت لحبيب ، عليك بالصبر فإنه مرضاة للرب ، مذهب للهم ، طارد للغم ، مُعْظِمٌ للأجر ، مُؤْذِنٌ بالعوض .

إن الذي عقد الذي انعقدت له
عُقد المكاره فيك يملكُ حلّها
صبراً فإن الصبر يُعقب راحةً
ولعلّها أن تنجلي ولعلها

ويقول ﷺ : «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع» [رواه أحمد] .

ويقول ﷺ : «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً» [رواه أحمد] .

واستمع إلى هذا الحديث الناصع ، والكلم الرائع ، مِنَ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى : «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» [رواه الترمذي].

obeikandl.com

الصـــــابـــرون

كـان الحـديث عن الصـبـر على المصـائب ، والتـحـمل عند النوازل ، والتجلّد حين الكوارث . حيث ألقي الضوء على شيءٍ من معاني الصبر ، وبعض من ثمراته ، وبينا أهميته وعظمة الأجر لمن صبر واحتسب ، ورضي وشكر . ولعل من المناسب أن يتبع ذلك الحديث بما يقويه ، وذاك الإلماح بما يجليه ، نتبع القواعد بالتطبيق ، والنصوص بالتعليق ، والقضية بالأمثلة .

انتقل بكم اليوم إلى بستان الصابرين ، وحديقة الشاكرين ، ومنتجع المحتسبين ، لنشتم عبق الصبر الصادق ، ونتذوق حلاوة الرضا ولذة الاحتساب ، ونتفيأ ظلال الصبر ، ونقطف من ثمر الشكر . نعيش مع أخبار ثلة من المؤمنين ، وكوكبةٍ من الصابرين ، لأن في ذكرهم سلوة ، وفي قصصهم عبرة ، وفي أخبارهم عظة ، ومن رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته ، قال سبحانه : ﴿**وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [إبراهيم : ٥].

وقال ﷺ : «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» .

لقد ابتلى الله تعالى أحبَّ الناس إليه ، وأكرمهم عليه ، وأقربهم

عنده ؛ فتلك سنة جارية ، وطريقة ماضية ، لرفعة الدرجة ، وإعلاء المنزلة وتمحيص الحب ، وتصفية القصد ، وامتحان الولاء ، واختبار الوفاء ؛ لذلك نزلت بأنبياء الله تعالى مصائب مفزعة، وكوارثُ مذهلة ، فما ازدادوا إلا صبراً ، وما أفعموا إلا يقيناً ، وما أعلنوا إلا رضا .

كم لقوا من العناء ، وكم واجهوا من البلاء ، وتعرضوا للاستهزاء! كم فجعوا في حبيب ، وأصيبوا في قريب ، واتهموا في عرض ، وجرحوا في كرامة!! فكانوا مثالاً في الصبر ، وآية في العزم ، وأنموذجاً في الإصرار ، وأعلاماً في التضحية ، وإن كان الأنبياء مروا بأنواع من البلاء ، وأعداد من المصائب ، وأشكال من النوازل ، فإن البلاء كلّه ، والامتحان أشدّه ، والنكال أعظمه ، والعناء أوجعهُ ، والعنت أشقّهُ ، تعرض له أكرم إنسان ، وأعز مخلوق ، وأطهر بشر ، وهو محمد ﷺ وقد أمره مولاه جل وعلا بالصبر في آيات كثيرة ، وبين له أن ذلك دأبُ المرسلين قبله ، فطمأن فؤاده بأخبارهم ، وقوى عزيمته بعرض سيرهم ، وقال سبحانه : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** ﴾ [الاحقاف : ٣٥].

تفننوا في إيذائه ، وتمادوا في معاندته ، وهو صابر محتسب يلهج إلى السماء بقوله : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » [رواه الشيخان].

وما ازداد إلا قوة ويقيناً ، وصبراً وتضحية ، وعزماً وإصراراً . عبرت سفينةُ صبره بحور البلاء ، واقتحمت أمواج العناد ، وتحطمت على عزائم إصراره فلول الشرك ، وكتائب المكر ، وقلاع الجحود ، وحصون الباطل .

فوضت أمرك للديان مصطبراً
بصدق نفسٍ وعزم غير منثلم
ولى أبوك عن الدنيا ولم تره
وأنت مرتهن لا زلت في الرحم
وماتت الأم لما أن أنست بها
ولم تكن حين ولت بالغ الحلم
ومات جدك من بعد الولوع به
فكنت من بعدهم في ذروة اليتم
فجاء عمك حصناً تستكن به
فاختاره الموت والأعداء في الأجم
ترمى وتؤذى بأصناف العذاب فما
رئيت في ثوب جبار ومنتقم
حتى على كتفيك الطاهرين رموا
سلا الجزور بكف المشرك القزم
أما خديجة من أعطتك بهجتها
وألبستك رداء العطف والكرم
عدت إلى جنة الباري ورحمته
فأسلمتك لجرح غير ملتئم
والقلب أفعم من حب لعائشة
ما أعظم الخطب فالعرض الشريف رمي
وشج وجهك ثم الجيش في أحد
يعود ما بين مقتول ومنهزم

لما رزقت بإبراهيم وامتلأت
به حياتك بات الأمر كالعدم
ورغم تلك الرزايا والخطوب وما
رأيت من لوعة كبرى ومن ألم
ما كنت تحمل إلا قلب محتسب
في عزم متقد في وجه مبتسم
بنيت بالصبر مجداً لا يماثله
مجد وغيرك عن نهج الرشاد عم

وممن تعرض للبلاء الشديد من أنبياء الله تعالى أيوب عليه السلام ، فقد ابتلي بضرٍ في جسده وماله وولده ، حتى لم يبق من جسده مغرز إبرةٍ سليماً سوى قلبه . ولم يبق له من حال الدنيا شيءٌ يستعين به على مرضه وما هو فيه . غير أن زوجته حفظت ودَّه لإيمانها بالله ورسوله ، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحواً من ثماني عشرة سنة وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعةٍ طائلة من الدنيا ، فسلب جميع ذلك ، حتى آل به الحال إلى أن ألقي في مزبلة من مزابل البلدة هذه السنوات كلها . وكان من يمر به يسد أنفه ، ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته –رضي الله عنها – فإنها كانت لا تفارقه صباحاً ولا مساء إلا بسبب خدمة الناس ، ثم تعود إليه فلما طال المطال ، واشتد الحال ، وانتهى القدرُ المقدور ، وتمّ الأجل المقدر، تضرع إلى رب العالمين ، وإله المرسلين ، وأرحم الراحمين فقال : ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾

[الأنبياء : ٨٣] فعند ذلك استجاب له ، وقبل دعوته ، ولبّى نداءه فأمره أن يقوم من مقامه ، وأن يركض الأرض برجله ، ففعل ذلك ، فأنبع الله عيناً وأمره أن يغتسل منها ، فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى ، ثم أمره فضرب الأرض في مكان أخر فأنبع له عيناً أخرى ، وأمره أن يشرب منها فأذهبت ما كان في باطنه من السوء ، وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً وذلك كلُّه ثمرة الصبر ، ونتيجة الاحتساب ، وفائدة الرضا ، قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص : ٤١].

سأل رجل الشافعيّ – رحمه الله – فقال : يا أبا عبد الله أيهما أفضل للرَّجُل أن يمكن فيشكر الله عز وجل؟ ، أو يُبتلى الشر فيصبر؟ فقال الشافعي « لا يُمَكَّن حتى يُبتلى فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم ومحمداً – صلوات الله عليهم أجمعين – فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحدٌ أن يُخْلص من الألم البتة » .

ولقد سجل المسلمون على مرّ التاريخ أروع آيات الصبر ، وأسمى أحاديث الشكر ، فرأوا ما أعد الله للصابرين فاحتسبوا وصبروا . وتأملوا سنة المصطفى الأمين فاقتدوا وتأسّوا ، أرخوا سمعهم لنداء المولى فإذا به يقول : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ .
[البقرة : ١٥٥]

ونظروا إلى حديث المصطفى ﷺ فإذا به يقول : «ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته ، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها» [رواه الشيخان].

كتبت أسرة آل ياسر أعظم آيات الصبر ، واحتملت أشدَّ أنواع الأذى وأفدح البلاء فمات ياسر رضي الله عنه تحت العذاب وماتت سمية – رضي الله عنها – بطعنة فاجرة غادرة من أبي جهل ، ورُمي عبد الله فسقط ولم يبق منهم إلا عمار رضي الله عنه الذي واصل مسيرة الصبر وقصة الكفاح ، ورواية التضحية في خدمة الإسلام ، ولقد كان ﷺ يمر بآل ياسر وهم يُعذبون فيقول لهم: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» .

وصبر بلال على ما لا يطاق ، وتحمل ما لا يحتمل ، وصبر خباب وابن مسعود ، وصبرت عائشة ، وأم سلمة ، وذات النطاقين ، وغيرهم من أولئك الأفذاذ العظماء ، والأبطال النجباء الذين صبروا على كل ما أصابهم في سبيل الله وفي مرضاته ، رضي الله عنهم أجمعين ، وجمعنا بهم في جنات النعيم .

أيها الأحبة : هذا زمن كثرت فيه المصائب ، وَعَمّت فيه الحوادث، وعظمت فيه الفواجع ، فيجب على المسلم إذا ابتلي بشيء من ذلك أن يقابله بالصبر ، ويتلقاه بالرضا ، ويستقبله بالتسليم ليكون ذلك أعظم في ميزانه ، وأرفع في درجته ، وأطيب لخاطره ، وأسكن لفؤاده، وأطيب لقلبه ، فلا تكون المصيبة مصيبتين ، مصيبة الحدث ومصيبة الجزع والتسخط ، فتضيع الدنيا والآخرة .

وذو الجهل يأمن أيامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فإن بدهته صروف الزمان ... ببعض مصائبه وَلْوَلا
ولو قَدّم الحزم في أمره ... لَعَلّمه الصبر عند البلا

يقول عمر رضي الله عنه : «وجدنا خير عيشنا الصبر» .

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله» .

ويقول ابن تيمية – رحمه الله – : «ذكر الله تعالى في كتابه : الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل ؛ الصبر الجميل هو : الذي لا شكوى فيه ولا معه ، والصفح الجميل هو : الذي لا عتاب معه ، والهجر الجميل هو : الذي لا أذى معه» .

كتب رجل إلى صديق له يعزيه في فقد ولدٍ له فقال : إن استطعت أن يكون شكرُك لله حين قبضه أكثر من شكرك له حين وهبه فذلك أعظم فإنه حين قبضه أحرز لك هبته ، وحفظ لك أجره وادّخر لك ثوابه ، ولو سلم لم تسلم من فتنته . أرأيت حزنك على ذهابه وتلهفك لفراقه فهل رضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك؟! أما هو فقد خلص من الكدر ، وارتاح من الهم ، وبقيت أنت معلقاً بالخطر . واعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعت ، وإنما هي واحدة إن صبرت ، فلا تجمع الأمرين على نفسك .

وعن الصبر على فقد الولد يقول ﷺ : «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي! فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة

فؤاده؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع : فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد » [رواه الترمذي].

وجاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ بصبيٍّ لها ، فقالت : يا نبي الله ، ادع الله له فلقد دفنتُ ثلاثة ، قال : « دفنت ثلاثة؟!! » قالت : نعم! ، قال: « لقد احتظرت – يعني احتميت – بحظارٍ شديد من النار » [رواه مسلم].

وكتب أحد الفضلاء إلى صديقٍ له يقول : المصائب حالّةٌ لا بد منها، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفاً بعبده ؛ وآية ذلك أن يوفقه للصبر ويلهمه الرضا ، ويبسط أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل ، ومنها ما يكون سُخطاً وانتقاماً أوّله حزن ، وأوسطه قنوط ، وآخره ندامه ، وهي المصيبة حقاً الجامعة لخسران الدنيا والآخرة .

وهذا أحد المؤمنين الصابرين فقد أبناءه واحداً إثر الآخر فوقف قائلاً :

كأنهُمُ لم يعرفِ الموتُ غَيْرَهُمْ
فَثُكْلٌ على ثكلٍ وقبر على قبر
وقد كنت حيّ الخوف قبل وفاتهم
فلما تُوفُّوا مات خوفي من الدهر
فلله ما أعطى ولله ما جزى
وليس لأيام الرّزية كالصبر
فحسبك منهم موحشاً فقدُ برِّهم
وحسبك منهم مُسْلِياً طلب الأجر

ابتلي عروة بن الزبير رضي الله عنه بداءٍ في رجله فقرر الأطباء بترها ، فقالوا له : اشرب المُرقِّد أو المخدر ، فقال : لا أشرب مرقداً أبداً ؛ إنما ابتلاني ليرى صبري ، أفأعارض أمره؟! ولكني إذا كنت في الصلاة لا أدري عن شيء . فلما قام يصلي قطعت رجله من نصف الساق فلم يتحرك ، فلما نظر عروة إلى رجله في الطِّست حين قطعت قال: اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى معصيةٍ قط . ولم يترك عروةُ وردَه من الليل تلك الليلة ، وفي الوقت نفسه مات أحب أولاده إليه ، ركضته بغلة فقتلته ، فما كان من عروة إلا أن رفع يديه قائلاً : اللهم كان لي بنونُ سبعة ، فأخذت منهم واحداً وأبقيت لي ستة ، وكان لي أطراف أربعة ، فأخذت مني طرفاً وأبقيت لي ثلاثة ، ولئن ابتليت فقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت! . وكان الناس في غاية العجب من صبر عروة بن الزبير على هذا البلاء الذي حل به .

وجاء رجل إلى الوليد بن عبد الملك ، فإذا به ضريرٌ محطم الوجه ولكن ليس عليه شيء من علامات الجزع ، فسأله الوليد عن سبب ضُرِّه وتحطم وجهه ، فقال له : بت ليلةً في بطن وادٍ ، ولم يكن أحد من قريتي أكثر مني مالاً وعيالا ، فدهمنا سيل جرّار ، فأذهب ما كان لي من أهل ومال وولد ، إلا صبياً رضيعاً وبعيراً صعباً ، فندّ البعير والصبي معي ، فوضعته واتبعت البعير لأحبسه وأمسك به ، فعدت لأنظر إلى الصبي فإذا برأس الذئب في بطنه قد أكله ، فتركته واتبعتُ البعير فاستدار ورمحني رمحةً حطم بها وجهي وأذهب عيني ، فأصبحت لا ذا مال ولا

ذا ولد ، فقال الوليد اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاءً منه .

فيا من بليت اصبر واحتسب ، واعلم أنه سيأتي يوم يتمنى فيه أناس أن أجسادهم قرضت بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء . واعلم أن الصابر يوفى أجره بغير حساب ، واعلم أن البلاء ما يزال بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة .

الصَّبر مثل اسمه مُرٌّ مذاقتُهُ
لكنْ عواقبه أحلى من العسل

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ .

[البقرة : ١٤٥]

obeikandl.com

الاحتساب

يمر الإنسان في حياته بتجارب عديدة ، ويتعرض لوقائع كثيرة ، وقائع متباينة ، وحوادث متغايرة ، ومعايش مختلفة ، ينطلق المرء في مسيرته الحياتية فيصادف متغيرات الحياة ، وتقلبات الأيام ، وتحوّلات الزمان . في بعض أيام عمره قد ينزل به البلاء ، ويتعرض للشقاء ، وفي بعضها قد يكن حليفاً للرخاء ، سميراً للهناء ، في بعض أيام عمره وساعات حياته يوفق لأنواع من الطاعة عظيمة ، وفنون من البر كريمة ، فالمرء في حياته يفرح ويحزن ، ويضحك ويبكي ، ويصح ويسقم ، ويسعد ويشقى ، ويغضب ويرضى ، ويفتقر ويغنى ، ويُعطى ويُمنع ، ويكرم ويُحرم ، والمسلم إضافة إلى إسلامه لربه والتزامه بدينه وإيمانه بقضائه وقدره يجب أن يتصف بصفة عظيمة وسمة حميدة في كل أطوار عمره ومتغيرات حياته ، تلك الصفة هي : **الاحتساب** .

وهي صفة غفل عنها كثير من الناس مع أنها صفة كمال ، وسمة جمال .

الاحتساب دليل على اليقين ، وإعلان للرضا ، وبيان للمحبة ، وبرهانٍ على المودة ، يصفي الأعمال ، ويزكي الأقوال ، يضاعف الأجر ،

ويُعظم القدر ، يطرد الرياء ، ويدفع الحزن ، ويجلب السرور ، وينير القلب ، ويطمئن الفؤاد ، ويسلي الخاطر ، ويفتح أبواب الأمل : ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [الرعد : ٢٢] .

كثير من المسلمين يتعرضون لأنواع من البلاء ، وتمر بهم أيام من الشقاء ، فيتحملون ويصبرون ، وذلك أمر مشكور ، ولكنهم لم يعمروا أفئدتهم بجمال الاحتساب . كثير من المسلمين يوفقون إلى أعمال خيرة وأفعال نيّرة ، وذلك أمر محمود ، ولكنهم لا يضفون عليها روعة الاحتساب لدى العزيز الوهاب . كثير من المسئولين والموظفين محبون للخير ، مُيَسِّرون للأمور ، محبوبون لدى الناس ، وهي أمور حسنة ، ولكنهم يغفلون عن احتساب كل صغيرة وكبيرة من أعمالهم حتى يعظم أجرها ، ويزكو برُّها . كثير من المعلمين والمربين يكدحون في أعمالهم ، ويتعبون في أدائهم ، ويعانون من تعليمهم ، ويفوتهم أن يروحوا عن أنفسهم ، ويشحذوا من عزائمهم بِتَذَكُّرِ ثواب الاحتساب .

الدعاة إلى الله ، سواء في حال قبول دعوتهم والترحيب بتوجيههم أو في حالة الرد عليهم والرفض لكلامهم ، يجب أن يُشْرِبوا قلوبهم رحيق الاحتساب ، ويعمروا أنفسهم بجماله : ﴿ **يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [هود : ٥١] .

الاحتساب ديدن المؤمنين ، وسمة المتقين ، وبرهان الصادقين .

الاحتساب في البلاء والمصائب يكون بالصبر عليها والرضا بما قدّر الباري بنفس مطمئنة ، ويقين جازم .

والاحتساب في أعمال الطاعة ودروب الخير يكون بحسن القيام بها على الوجه الأكمل والأسلوب الأمثل ، طلباً للثواب وطمعاً في الأجر .

إن المؤمن **بالاحتساب** يجعل كل أوقاته عبادة ، وجميع عمره طاعة ، وشتى أفعاله قُربة ، يقول أحد السلف : «إني لأحتسب على الله نومتي كما أحتسب قومتي» ، وهذه عبارة مشرفة وكلمة جميلة وموعظة جليلة فهو حتى في حال نومه يحتسب هذا النوم عند الله تعالى لأنه إنما نام ليريح جسمه ويقوي بدنه على طاعة ربه والسير في دربه ؛ فلولا الراحة والنوم لما استطاع أن يقوم ، فإذا قام الليل فهو محتسب ، وإذا نام فهو محتسب ، وقل مثل ذلك في الأكل والشرب والراحة والترويح ، بل في قضاء الشهوات في المباح ، فإذا أتى المرءُ زوجته واحتسب ذلك يكون له عليه أجر .

يقول ﷺ : «وفي بضع أحدكم صدقة» ، قالوا : يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال : «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» [مسلم ١٠٠٦] .

إن الأعمال لا قيمة لها من غير احتساب ، فالعمل جسم والاحتساب روح ، يقول ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم

من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» [مسلم : ١٠٠٢] .

ويشير ﷺ إلى أهمية الاحتساب وينبه على منزلته بقوله : «إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة» .
[رواه مسلم]

ويحرص ﷺ على بث روح الاحتساب في نفوس أصحابه في كل عمل يعملونه فيقول : «من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يُصلى عليها ويُفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط» [البخاري : ٤٧] .

هذا هو الاحتساب في أعمال الطاعة ودروب الخير وطرق الإحسان ، أما الاحتساب في حال البلاء ، فيقول ﷺ : «إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب وقال ما أمُر به بثواب دون الجنة» [صحيح النسائي : ١٧٦٥] .

ويقصد بقوله : «ما أمر به» أي يمتثل قوله تعالى : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ . [البقرة : ١٥٦]

وأرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قد مات فأرسل يُقرئها السلام ويقول : «إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيءٍ عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب» [صحيح النسائي : ١٧٦٢] .

وهكذا يقرن ﷺ الصبر بالاحتساب ، فلا قيمة للصبر من غير احتساب للأجر ؛ لأن غير المؤمن قد يصبر ويتحمل ولا يتبرم بما أصابه، ولكن المؤمن يتزيد على غيره ويختلف عن سواه باحتساب الأجر عند الله تعالى : ﴿ **إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء : ١٠٤] .

إن المؤمن لا يصيبه من همٍّ أو غمٍّ أو أذى حتى الشوكة يشاكها فيحتسب الأجر إلا كفَّر الله بذلك خطاياه ورفع درجاته وضاعف حسناته وعجباً لأمر المؤمن فأمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أيها الناس احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته » .

فلو أن سائلاً يسأل فأعطاه رجلٌ مبلغاً من المال وهو في قرارة نفسه يحتسب هذا المبلغ عند الله تعالى ويدّخره لدى مولاه ، ثم أعطاه رجلٌ آخر مثل ذلك المبلغ دون أن يستشعر حقيقة الاحتساب فلا شك أن الأول أفضل وأكمل وأجمل ، ولو أن عدداً من الموظفين يؤدون عملاً واحداً إلا أن بعضهم محتسب أجره على الله ، والآخرون يعملون كالآلة الصمّاء دون استشعار واحتساب فإن أجر المحتسب أعظم ، وفعله أكرم .

هكذا أيها الأحبة يجب على كل مسئول وكل مدير وكل موظف وكل عامل وكل داعية وكل معلم وكل مربٍّ وكل زوج وكل زوجة ،

يجب عليهم جميعاً أن يقرنوا أعمالهم باحتساب الأجر عند الله تعالى فإن الاحتساب يرتقي بالأعمال ، ويرفع الدرجات ، ويضاعف الحسنات ، من نزل به بلاء أو مرّ به شقاء أو تعرّض لعناء ، فلْيحتسبْ أجره على الله وليرضَ ما قدّره وقضاه ، وليكن من الذين قال تعالى عنهم : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

اللهم اجعلنا من المحتسبين لأعمالهم ، المخلصين في أقوالهم وأفعالهم الموفقين في جميع أحوالهم ،،،

obeikandl.com